

التجارب والمشاعر

روبن أ. كيرنز

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

سحر الأماكن البعيدة

خلال سنوات دراستي الثانوية ، كان لديّ ملصقٌ ثمينٌ مُعلقٌ على جداري . بينما كان لدى الآخرين صورٌ لدراجات نارية أو نجوم سينما ، كان الملصق الذي أأمله يُصور المتنزهات الوطنية الأمريكية . على الرغم من أنني قضيت طفولتي على مقربةٍ من الساحل والتلال الخلابة في منطقة نورثلاند بنيوزيلندا ، حلمتُ بزيارة أماكن بعيدة مثل يلوستون وجاكسون هول . جاء هذا الانبهار بالأماكن ذات الأسماء الغريبة من والدتي ، هيدر . كانت تُحبّ منظر الطائرات التي تُحلّق في السماء ، وتُمازحني قائلةً إنها وُلدت بوقود الطائرات في دمها ، ووجدت متعةً في زيارة أماكن بعيدة مثل جاسبر ، ألبرتا (عرفتُ ذلك من أغنية لجون دنفر). جاء والداي إلى نيوزيلندا كمهاجرين من بريطانيا بحثًا عن تجارب جديدة . كانت فرص والدي ، الطبيب البيطري ، أكثر تحديدًا في منطقة نورثلاند النائية منها في المظاهر الطبيعية الخلابة في سوفولك . لم يعودوا أبدًا للعيش هناك ، على الرغم من أن والدتي كانت تتوق بهدوء إلى وديان اسكتلندا . ربما كانت تلك الرحلة البحرية في سن الرابعة قد زرعت بذور الخيال الجغرافي لديّ ، مع توقّعات في كوراسا و وبنا وتاهيتي .

نشأتُ في مدينة وانجاري الإقليمية ، ولم تكن نشعر أبدًا بالراحة التامة في المنزل . بسبب افتقارنا إلى رفقاء الروح ، تطلع والداي إلى الهواء الطلق للتواصل ، وأثار ذلك فضولي تجاه المظاهر الطبيعية. اصطحبني والدي ، عالم الطيور الشغوف ، في تمارين إحصاء الطيور في أماكن نائية ، وبمجرد أن أصبحت أختي من هواة المشي ، كنا نتجول بانتظام في التلال الوعرة خارج المدينة . بحلول سنوات المراهقة ، كنتُ قادرًا على تمييز معظم الأشجار والصخور والطيور والحشرات ، وبفضل تأثير والدتي ، نشأ لديّ حبٌّ للكلمة المكتوبة . وبينما نفرّتي الجغرافيا الطبيعية في السنوات اللاحقة ، إلا أن تلك الأوقات التكوينية منحتني حبًا للأرض وتعاطفًا مع العالم الطبيعي .

الوصول إلى هناك

تحقق حلم استكشاف أمريكا الشمالية جزئيًا في عام ١٩٧٧ ، عندما سافرتُ إلى الولايات المتحدة ، بعد أن أكملتُ دراستي الثانوية ، كطالب تبادل روتاري . انطلقتُ براحة كبيرة بعد أن رسبت في جميع امتحانات السنة النهائية العامة باستثناء اثنتين . كانت أعلى درجاتي في اللغة الإنجليزية ؛ أما نسبة ٣٩٪ في الجغرافيا ، فعكست غياب أي شيء يثير اهتمامي في المنهج الدراسي . بدت أوروبا الصناعية بعيدة ومملة ، وكانت الرحلة الميدانية الوحيدة في ذلك العام إلى مزرعة خنازير معلمنا . كان هناك ما هو أكثر من هذا في العالم ، وكان احتجاجي هو مغادرة قاعة الامتحان مبكرًا .

في بلدة سارديس الصغيرة بولاية ميسيسيبي ، اتّسع العالم بشكلٍ متناقض . تعلّمتُ الكثير عن العرق والتاريخ والهوية الوطنية . التحقّتُ بمدرسةٍ كان 95٪ من طلابها من الأمريكيين الأفارقة . في اليوم الأول ، سألت أحدهم إن كانت نيوزيلندا قريبةً من وايومنغ . سرعان ما اتضح أنه على الرغم من أن المدرسة كانت ثقافةً عظيمة ، بعد تجربة طويلة ، كان السفر خيارًا تعليميًا مفضلًا . انتهزتُ كل فرصة ، ولأن والديّ استضافا طلاب تبادل، كنتُ أعرف عن البرنامج أكثر من مضيفي الروتاري المحليين . بدأ مستشاري المحلي يسألني

"إلى أين أنت ذاهبة الآن؟" كلما اتصلتُ به . زرتُ 37 ولاية في ذلك العام ، بالإضافة إلى بعض المتنزهات الوطنية المذكورة في ذلك الملصق .

كانت الرحلة الأكثر جنوناً هي مرافقة سائق شاحنة كان يقود سيارته إلى نيويورك لتوصيل أسرة المستشفيات إلى مستشفى بيلجرىم ستيت في لونج آيلاند ، الذي كان آنذاك أحد أكبر مؤسسات الطب النفسي في الولايات المتحدة . ساهم رؤية المستشفى الضخم المكتظ بالمرضى المنكوبين ، وبالكاد نمثُ لمدة ثلاثة أيام ، في ترك انطباع دائم ربما عزز ، إلى حد ما ، اهتمامي لاحقاً بأماكن رعاية الصحة النفسية . في حين أن أمريكا جذبتني في سن السابعة عشرة ، إلا أنني لم أكن لأختار قضاء عام في الجنوب الأمريكي تحديداً . لكن ، بالنظر إلى الماضي ، كان اختياري للبلد دون المنطقة موفقاً ، إذ ترك ذلك العام الذي قضيته على حافة دلتا المسيسيبي أثراً عميقاً.

البحث عن الجغرافيا

عدتُ من أمريكا والتحقت بجامعة أوكلاند . تبددت آمالي في أن أصبح عالم نفس عندما اكتشفتُ في تلك السنة الأولى أن علم النفس كان مملأ وتقنياً للغاية . لم يكن له أي علاقة بدراسة ديناميكيات المجتمع كما تخيلت . كان إطعام الفئران وتعريفى بموسيقى فان موريسون من قبل زميلي في المختبر هما مصدر الراحة الوحيد . نجحتُ بتقدير جيد جداً . لكن في مقررات الجغرافيا ، ولدهشتي ، حصلتُ على تقدير ممتاز . في هذه المقررات ، بدا لي أن هناك مجالاً لجمع معرفتي وخبرتي بالعالم . في سنتي الثانية ، درستُ اللغة الإنجليزية ، وبدأتُ أدم على عدم دراستي لها في البداية . كحل وسط ، عدتُ لدراسة الماجستير وأقنعتُ العميد بالسماح لي بدراسة الجغرافيا والأدب النيوزيلندي . وبينما كانت اللغة الإنجليزية هي شغفي الأول ، إلا أن الجغرافيا أتاحت لي في نهاية المطاف فرصاً وظيفية أكثر .

كان لدى أوكلاند ، وما يزال ، برنامج ماجستير قوي . بالنسبة لأطروحتي ، دفعتني صلاتي بريف نورثلاند وجاذبية العمل الميداني على أرض مألوفة إلى البحث في سياسات وتغيرات استخدام الأراضي المرتبطة بمقترح ري مجتمعي . كان يتم الاعتراف بإمكانيات التربة البركانية الغنية القريبة من وانجاري لإنتاج الكيوي . كان النظام الاجتماعي والمكاني يتغيران . كان صيفاً رائعاً أمضيته في زيارة المزارع على دراجة ياماها 50 مستعارة ، مستمتعاً بأول تجربة لي في إجراء المقابلات وسط المظاهر الطبيعية البركانية لمنطقة ماونغاتابيري . تركت لي هذه التجربة إرثاً من الاهتمام بالمجتمعات الريفية ، وشغفاً بالمصالح المتضاربة للأفراد والمجتمعات والمؤسسات .

مع نهاية عام ١٩٨٢ ، شجعتني مشرف رسالتي ، وارن موران ، على التقدم بطلب للحصول على منحة دراسية لدراسة الدكتوراه . زارتني آن بوتيمر ، وكانت مشجعة بالمثل . بدأت أدرك أن هناك عالماً من الجغرافيا يتجاوز الرسالة ! أثارت كندا فضولي لوجود عم جيولوجي في تورنتو . طلب منحة الكومنولث إدراج ست جامعات وجهة بالترتيب المفضل . ومع ذلك ، قال برنت هول ، وهو نيوزيلندي عاد من دراسة الدكتوراه في كندا ، إن هناك جامعة واحدة فقط تستحق الدراسة : ماكماستر . أخذتُ بنصيحته ، وبعد خمسة أشهر ، تلقيتُ برقية تعرض المنحة.

بعد أن ذكرت جامعة واحدة فقط ، لا يسعني إلا أن أتخيل أن المحكمين ظنوا أنني أعرف بالضبط ما أريده . كان العكس هو الصحيح . لم أكن أعرف شيئاً تقريباً عن ماكماستر ، لكنني لم أستطع رفض رحلة مدفوعة الأجر إلى كندا . أونتاريو في الثمانينيات بعد أن تعافيت من صدمة رطوبة منتصف أغسطس ، كان التغيير التالي إلى الجغرافيا في ماكماستر . اختفى التركيز البري لأوكلاند في ثمانينيات القرن الماضي . بدلاً

من ذلك ، وجدت نفسي في بؤرة نقاش حول الجوانب الحضرية والاقتصادية للحياة الاجتماعية . شعرت وكأن دلو افتراضاتي المملوء بعناية حول العالم قد انقلب . كافحت للعثور على فصول دراسية مثيرة للاهتمام . في الفصل الدراسي الأول ، درستُ مقرر الاقتصاد السياسي الحضري لروث فينشر ، وللمرة الأولى ، تعاملتُ مع الهياكل العميقة التي يقوم عليها المجتمع .

كانت تلك أيامًا شعرتُ فيها بانفصال عميق عن المنطقة المعروفة . حزنْتُ على قربِي من البحر. بدت كل بحيرة عظمتُ وكأنها فراغ كبير . ومع ذلك ، كنتُ أيضًا متحمسًا للغاية لكوني ضمن مجموعة دولية تمامًا من طلاب الدراسات العليا . كانت درجة التفاعل الاجتماعي بين الأكاديميين وطلاب الدراسات العليا ممتعة بشكل خاص . بدا لي الخوض في نظرية الهيكلة مع ديريك غريغوري في غرفة معيشة مايكل دير أسهل بكثير من قراءة اليوميات . ومع ذلك ، كنت سعيدًا بإنشاء شبكات غير مرتبطة بالجغرافيا . منحني الانخراط مع اليسار الكاثوليكي صداقات جديدة (بما في ذلك شريكتي بات التي كانت تبدأ دراسة الطب) ورؤى ثاقبة حول مجموعة متنوعة من الصراعات داخل كندا وخارجها. ومع ذلك ، لم يبدو أن أيًا من هذه الصراعات يمس اهتمامات الكنديين الأصليين . لذلك عندما قادني لقاء صدفة إلى كاترين فيرال ، وهي كويكرية متواضعة ، عقدت الفرع المحلي للتحالف الكندي للتضامن مع السكان الأصليين ، تغيرت سنوات دراستي الجامعية بشكل جذري .

تعدّ شغفي بروحانية الأمم الأولى وصراعاتها على الأرض داخل منظمة تضم (في ذلك الوقت، بشكل جذري) أشخاصًا أصليين وغير أصليين يعملون معًا . كان من دواعي سروري قضاء عطلات نهاية الأسبوع في المحميات الطبيعية ، أتعلّم التقاليد وأتحدث مع الفنانين . كل هذا جعلني في حيرة من أمري بشأن موضوع بحث الدكتوراه . فكرتُ للحظة في الانتقال إلى جامعة أخرى ، بل وتركنتُها . تركني حماسي للمسائل الماركسية والكمية في جامعة ماكماستر باردًا كبرد الشتاء . أما الفرصة التي منحتني الأمل فكانت العمل الذي أنجزه مايكل دير ومارتن تايلور مؤخرًا حول مواقف المجتمع تجاه مرافق الرعاية الصحية العقلية . اقترح مارتن ، الذي كنتُ أدرس معه دورة في الإدراك البيئي ، أن أدرس الرعاية الصحية العقلية المجتمعية من منظور المرضى النفسيين المقيمين في دور الرعاية الداخلية في وسط المدينة . وهكذا بدأت فرصة رائعة ومليئة بالتحديات لدخول عالم الرعاية الصحية العقلية ، ولو جزئيًا . لقد شكّلت تأثيرات ما وراء ماكماستر، وداخلها أيضًا ، تفكيري خلال تلك السنوات (1983-1987) . وجدتُ طريقي إلى مركز البيئة والروحانية على بحيرة إيربي ، وشاركتُ لمدة أربعة فصول صيف في ندواتٍ أدارها توماس بيربي ، وهو حكيمٌ فيلسوفٌ بيئيٌ وصف نفسه بأنه "جيولوجي" . وأخيرًا ، وجدتُ تقاربًا بين الأرض وأسئلةٍ أعمق حول المعنى . كما برز الشعر بشكلٍ كبير. كتبتُ وقرأتُ كجزءٍ من مركز هاملتون للشعر، واستضفنا العديد من الشعراء الكنديين الذين مرّوا به.

كانت قراءات هاربورفرونت في تورنتو مقصدًا منتظمًا وفرصةً للقاء كتّابٍ من جانبتي فريم إلى لورانس فيرلينجيتي . كل هذا ، مجتمعًا ، شكّل شغفي بالكتابة الجيدة وخير الأرض . في بعض الأحيان ، كان زملائي والمشرّفون عليّ في جامعة ماكماستر في حيرةٍ من أمرهم . لكن بالنسبة لي ، ستظل الجغرافيا دائمًا مسألةً تتعلق بالقلب والعقل . مع تقدم بحثي في أطروحتي ، كنت أقضي وقتًا أسبوعيًا متطوعًا في مركز استقبال ، وكنت أعود بملابس تفوح منها رائحة الدخان ، وعقلي يدور. واجهتُ محاولات متكررة من المترددين لإقناعي بأشياء رائعة ومذهلة . بينما كان آخرون يتأرجحون في مقاعدهم .

شعرتُ وكأن الحرم الجامعي ومركز الرعاية عالمان منفصلان . بعد التجربة المروعة للامتحانات الشاملة (امتحانان لمدة ثماني ساعات ، يتبعهما امتحان شفوي للأسئلة التي اخترتُ عدم الإجابة عليها) ،

أصبحت متفرغاً للعمل على بحث الأطروحة . لم تكن المناهج النوعية معروفة في جامعة ماكماستر آنذاك . كنتُ أَعتمد على أسلوبِي الخاص ، فأجمع روايات من المشاركين الذين اعتقدوا بلا شك أن استبياناتي أشبه باختبار نفسي آخر . قدّم زملائي من طلاب الدراسات العليا وجهات نظر مهمة حول أطروحتي. كانت معرفة غليندا لوز بإعادة هيكلة الرعاية الاجتماعية ، ومهارة سوزان إليوت في التحليل الإحصائي ، مفيدة بشكل خاص . كان نورمان وايت، وهو طبيب نفسي مثير للاهتمام ، ذا أفكار اجتماعية وبيئية حول الصحة ، مصدر إلهام لأبحاثي لسنوات عديدة ، من بين التأثيرات القوية الأخرى.

استمتع نورمان بالتواصل مع الجغرافيين الذين يمكنهم التفكير خارج الإطار الطبي . كان مايكل هايز، وما يزال ، من بين التأثيرات الأخرى ، الذي عاد إلى الجغرافيا بعد حصوله على درجة الماجستير في علم الأوبئة . سرعان ما أصبح رفيقاً للروح ، وكانت عبارته الشهيرة "تذكروا التدرج" بمثابة تذكير دائم بالفرص المهيكلية بعمق للثروة والصحة والسلطة في المجتمع . ساهم التزام مايكل بالعدالة الاجتماعية ، الممزوج بروح دعابة لا تُقهر وحماسه للموسيقى الجيدة ، في استمتاعي بسنواتي الأخيرة في أونتاريو . مع اقتراب امتحاني الشفوي للدكتوراه ، طرح عليّ مشرفي السؤال الاتي : "هل ترى نفسك تصبح أكاديمياً مهنيًا؟". تراجعْتُ عن الإجابة الإيجابية : ملأني المثل القائل "انشر أو هلك" بالتردد .

العودة إلى مدينة الأشربة

كان شعورًا بانعدام الوزن رافقني عائداً إلى نيوزيلندا ، وفجأة ظهرت كلمة "دكتور" أمام اسمي . كنت قد حصلت على زمالة ما بعد الدكتوراه من مجلس البحوث الطبية لإجراء أبحاث في مجال الصحة النفسية المجتمعية في أوكلاند . كانت العودة إلى قسمي القديم مريحة ومقلقة في الوقت نفسه . أصبح أساتذتي السابقون زملاء الآن ، ولكن لم يبدو أن أحداً منهم يشترك في اهتمامات بحثية مشتركة . بدأتُ محاولة إعادة مشروع الدكتوراه الخاص بي ، لكنه بدا مملاً بعض الشيء . بدا لي أيضاً أنني كنت أجمع رسائل رفض من محاولاتي للنشر في أطروحتي للدكتوراه . **كان العاملون في مجال الصحة النفسية متعاونين وفضوليين تجاه أسئلة الجغرافي** . كانت أكثر التجارب سريالية خلال تلك الفترة هي التواصل مع مريضة في مجال الصحة النفسية ترغب في إجراء مقابلة في العمل بدلاً من العيادة . كان العنوان على طريق K ، في منطقة الضوء الأحمر في أوكلاند . شعرتُ بالضعف من فكرة الذهاب بمفردي ، فأقنعتُ بات بالذهاب معي .

ما إن دخلنا ، وبعد أن واجهنا صعوبة في إقناع صاحبة المكان ، حتى دخلنا غرفةً مُزينةً بملابس السادية والمازوخية . لا بد أن حرجنا كان مُقابل حرج المرأة التي أُجريت معها المقابلة ، نظراً للمنظر غير المعتاد لزوجين شابيين قلقين يدخلان غرفتها ويبدوان كمفتشين صحيين . كانت تلك التجربة واحدة من سلسلة تجارب قادنتني إلى اهتمام دائم بأخلاقيات البحث الاجتماعي . خلال فترة دراستي لما بعد الدكتوراه ، جاء كريستوفر سميث من جامعة ولاية نيويورك في ألباني إلى نيوزيلندا في إجازة ، وشجعني على المشاركة في طلبات المنح التي تسعى إلى البحث في العلاقات بين السكن والصحة النفسية . أعجبتُ بروح الدعابة التي يتسم بها كريس ، وتواضعه ، وتعاطفه مع الطبقة العاملة . قبل مغادرته بفترة وجيزة ، تمت الموافقة على التمويل ، مما ترك لي احتمالاً مُخيفاً لإدارة منحة ضخمة وتوظيف فريق من المحاورين في مدينتين . كان الأمر أشبه بمغامرة مُرهقة . ترددت في ذهني نصيحة صديقي المعماري توني واتكينز، الذي شجعني سابقاً على الذهاب إلى كندا : "اقض على أكثر مما تستطيع ، ثم اقض عليه بكل قوتك" . أصبح هذا شعاراً لمسيرتي المهنية.

خلال عامنا الأول معًا في نيوزيلندا ، أتيحت لبات فرصة العمل كطبيب بديل في منطقة هوكيانجا ، وهي منطقة تربطني بها علاقات طويلة الأمد . في تلك الأيام المجيدة لما بعد الدكتوراه ، حيث كان التدريس محدودًا وانعدام الإدارة ، شاركنت في إعداد بحث حول معنى النظام الصحي . ولقياس الأهمية الاجتماعية للعيادات المجتمعية ، كنتُ "أقضي وقتًا" في كنتُ أتابع كل صباح ، وألاحظ المحادثات التي تدور حولي ، بينما أظهار بجل لغز الكلمات المتقاطعة في الصحيفة اليومية . هذه الطريقة المُبتكرة ، والتي قد تُواجه صعوبة الآن في اجتياز مراجعة أخلاقيات المؤسسات ، ساهمت في تقديم دليل قاطع على مكانة هذه العيادات في النسيج الاجتماعي للمجتمع . كانت أهمية شكلها (كعيادات طبية) مُنافسة بشكل واضح لوظيفتها (كمراكز مجتمعية بحكم الواقع) . أصبح هذا المشروع المُرتجل تجربة بحثية أساسية ، وساعدت النتائج ، التي نُشرت في مجلتي العلوم الاجتماعية والطب ، المجتمع المحلي على مقاومة الدمج وتأكيد أهمية نظامه للمسؤولين المركزيين . كان هذا المشروع بمثابة رضا مهني مُبكر وغير متوقع .

وضع نفسي

مع نهاية فترة ما بعد الدكتوراه ، عُرض عليّ منصب مُحاضر في أوكلاند ، وبدأتُ في تنويع بحثي . كان المفهوم الرئيسي الذي بدأ يُؤثر على تفكيري هو المكان كعلاقة مُكررة تربط الموقع الملموس بالتجربة والهوية . بالاعتماد بشكل فضفاض على تعليقات جون أيلز في كتابه "حواس المكان" ، ساعدتني هذه الفكرة لاحقًا في تعزيز فهمي لمجموعة من الدراسات المجتمعية والروايات المرتبطة بها . في ذلك الوقت تقريبًا ، تواصلت مع زميلي ستيف بريتون للمساهمة في كتاب عن إعادة الهيكلة في نيوزيلندا . كان رد فعلي الأولي هو أنني لا أملك الكثير لأقدمه . بدت إعادة الهيكلة اقتصادية للغاية بالنسبة لي . في النهاية ، اقتنعت بكتابة أقسام عن مبادرات الإسكان الماوري ونظام الرعاية الصحية في هوكيانجا .

أثر الكتاب الناتج ، "تغيير الأماكن" ، على تفكيري وأصبح تعبيرًا جماعيًا عن فهم الجغرافيين النيوزيلنديين للتحويلات الجذرية في السياسة التي اجتاحت البلاد في ثمانينيات القرن الماضي . خفف التعاون المتزايد مع صديقي ألون جوزيف من جيلف من حزن وفاة ستيف المبكرة عام ١٩٩١ ، حيث استكشفت معه الروابط بين خدمات الرعاية الصحية الريفية وعمليات إعادة الهيكلة الأوسع . بعد كتابة أوراق بحثية عن الولادة المنزلية والعيادات الصحية الريفية ، انجذبتُ إلى التفكير في المنهج والمعنى في الجغرافيا الطبية في مؤتمر الجغرافيا النيوزيلندي لعام ١٩٩٠ . شعرتُ بالإحباط من احتمال الانتظار الطويل للنشر في وقائع مؤتمرات صغيرة ، فانتهزتُ الفرصة وأرسلتُ الورقة إلى مجلة الجغرافيين المحترفين . ولدهشتي ، قُبلت . لكن رد الفعل على اقتراحي لإصلاح الجغرافيا الطبية كان سريعًا . قدّم اثنان من الأسماء المرموقة في هذا المجال ، جوناثان ماير وميليندا ميد ، ردًا لادعاء عُرض عليّ فيه فرصة الرد . أتذكر زميلًا أقدم قال لي : "لقد عانيت أكثر مما تستطيع تحمله يا صديقي" . متجاهلاً الحذر ، عرضتُ المزيد من الأسباب التي تدفع الجغرافيا إلى التحرر من هيمنة الطب والانخراط في خطاب أكثر تقدمية حول الصحة والرفاهية . جذبتني ما بعد الحداثة لشرعيتها في تنويع الهويات ، وفرصتها للانتقائية ، وتحديها ليقين العلم . كنا بحاجة إلى "إفساح المجال للاختلاف" ، كما عنوانتُ مقالًا لاحقًا في "التقدم في الجغرافيا البشرية" . تبعني هذا السعي وراء الاختلاف إلى مناهج البحث .

آخر مرة حللتُ فيها البيانات باستخدام الإحصاءات متعددة المتغيرات كانت في منتصف التسعينيات ، ومنذ ذلك الحين ، أعتبر نفسي متخصصًا في المناهج النوعية . لقد أدى إبداع المنهج ، بالنسبة لي ، إلى توسيع التفسير النظري . كان الحوار هدفًا رئيسيًا للمنهج . فالمكان يشجع الحوار ، ويتشكل منه ، ويدمجه (حرفيًا ومجازيًا) . أعادني مؤتمر متعدد التخصصات عُقد في أوكلاند عام ١٩٩٦ حول السرد والاستعارة

إلى مواد دراسية قديمة ، مستكشفًا إمكانيات جديدة للتحليل . وأخيرًا ، ازدهر حبي للغة ! بعد أن تعرفتُ على الجغرافيا الثقافية عندما كنتُ طالبًا جامعيًا ، كشيء غريب وموجود إلى حد كبير في أماكن أخرى ، وجدتُ إعادة ابتكار هذا المجال كانت التسعينيات مثيرة . فجأةً ، أصبحت المواضيع المحلية والسياسية رائجة . أتاحت لي المشاركة في مؤتمرات نصف الكرة الشمالي التعرف على من أعجبتُ بأعمالهم . وسَّعت الزيارات اللاحقة لسو سميث ، وبيتر جاكسون ، وإيزابيل ديك ، وغراهام مون ، الآفاق الجغرافية في أوكلاند ، وفي بعض الحالات ، أدت إلى تعاونات جديدة . كان لورانس بيرغ ، الذي كان يُكمل دراسته للدكتوراه في وايكاتو، أحد أهم المؤثرين في التسعينيات ، ودفعني إلى التفكير النقدي في "العرق" والمكان والسلطة . كان التزامي الشخصي بدعم تطلعات الماوري في الصحة والإسكان يتمثل في إيجاد أسس نظرية جديدة يمكن ترجمتها إلى التدريس والبحث . وبينما قاومتُ تعريف نفسي كجغرافي "ناقد" (فهذا يُهددني بأن يُنظر إليّ على أنني أقدم من غيري) ، إلا أن الجغرافيا الثقافية الجديدة غرست في تفكيري وألهبت حماسه . كان هذا يحدث أيضًا لويل جيسلر من جامعة نورث كارولينا في تشابل هيل . على الرغم من أننا قضينا وقتًا قصيرًا جدًا معًا (زرتُ تشابل هيل مرة واحدة لمدة يومين) ، فقد انتهى بنا الأمر بنشر كتابين معًا ، وقد ساعدا معًا في **توسيع آفاق جغرافية الصحة من خلال جمع الأفكار حول الثقافة والمكان والصحة** .

البحث بين العائلة والأصدقاء

لطالما ارتبطت اهتماماتي البحثية بالتطورات المحلية . بينما يفضل البعض الفصل بين الحياة المنزلية والعملية ، لم أتمكن قط من رسم حدود واضحة . إن المنظور النقدي للعالم هو ببساطة طريقة للرؤية ، والنظرية الاجتماعية تساعد على وضوح الرؤية . عندما وُلد ابنا ، استندتُ إلى عمل سابق حول الولادة المنزلية ، وحصلتُ على منحة لاستكشاف مشاكل الصحة النفسية قبل الولادة وبعدها . لاحقًا ، عندما أُدخل ليّام إلى مستشفى الأطفال المحلي ، أدى ربطه بين الاستعارة والمكان ("أبي ، خذني إلى المركبة الفضائية حيث يوجد الروبوت") إلى سلسلة من التحقيقات حول مساحات الرعاية الصحية المؤسسية مع روس بارنيت من جامعة كانتربري . وبصفته متعاونًا آخر طويل الأمد ، فإن موهبة روس في رسم "الصورة الكبيرة" للسياسة ورأس المال قد أكملت رؤيتي للتفاصيل وفهمي لطبيعة المكان .

مؤخرًا ، ومع طفلين في سن المدرسة ، أصبح دور المدارس الابتدائية كقلب الأحياء واضحًا تمامًا . وكذلك الطريقة التي يمكن أن تؤدي بها حركة المرور إلى الازدحام وتهدد صحة ذلك القلب التعليمي . في مدرستنا المحلية ، أدى مشروع صغير في عام ١٩٩٩ ، يتساءل عن تفضيلات النقل لدى الأطفال والبالغين ، إلى تعاون مستمر مع داميان كولينز . تبع ذلك إطلاق أول حافلة مدرسية للمشي في أوكلاند (وهي عبارة عن رحلة منتظمة من وإلى المدرسة ، يديرها متطوعون بالغون) . وفي غضون أربع سنوات ، أصبح هناك أكثر من 100 مسار من هذا النوع يعمل في جميع أنحاء أوكلاند . هناك شعور كبير بالرضا لرؤية الأبحاث تكتسب زخمًا سياسيًا.

في بلد صغير ، تكتسب الشبكات أهمية بالغة . وكما في أيام دراستي العليا ، كنت حريصًا على الحفاظ على التواصل من خارج الجغرافيا وداخلها . كان من أهم مشاركاتي خارج الجغرافيا على مدار السنوات الست عشرة الماضية العمل مع جمعية الصحة العامة في نيوزيلندا . وبصفتي الجغرافي الوحيد المشارك في المؤتمرات السنوية ، أصبحتُ معروفًا ، ويمكنني الآن اصطحاب الطلاب إلى منطقة من البلاد ، وتحديد موقع أحد أعضاء جمعية الصحة العامة ، وإجراء حوار سريع حول الصحة المحلية ومخاوف المجتمع . يُعدّ الابتعاد عن صخب العالم الخارجي عنصرًا أساسيًا آخر لكونك جغرافيًا في بلد صغير . للحفاظ على شبكات أوسع ،

كانت الندوات الدولية التي تُعقد كل عامين في الجغرافيا الطبية بالغة الأهمية وأكثر إرضاءً من مؤتمرات الجغرافيا العامة واسعة النطاق .

إن مشاركتي في شبكات متعددة تُساعدني على تهدئة انزعاجي من فكرة أن أُعد متخصصًا . إن طبيعتي العامة تُريد الاستمرار في التقدم . أنا أُجهد حاليًا بسبب الأبحاث الجديدة حول إصلاح الرعاية الصحية الأولية ، ومرض السل ، والتوطين المستدام . في جميع المشاريع الثلاثة ، أنا الجغرافي الوحيد . وبينما أوصل الكتابة مع شبكة متفرقة من الزملاء الجغرافيين ، وأستمتع بصداقتهم ، فإن بحثي المحلي أصبح متعدد التخصصات بشكل متزايد . وقد حدث هذا التحول أيضًا في مجال التدريس . وبينما لم يتضاءل حماسي لتدريس الجغرافيا الثقافية والصحية ، فإن فرصة التدريس ضمن برامج الصحة العامة تجلب لي الرضا برؤية الطلاب غير المتخصصين في الجغرافيا يدركون أهمية المكان والمساحة . بينما أنتظر حافلة العودة إلى المنزل من الجامعة ، كثيرًا ما أرى أستاذًا في علم الاجتماع يخبرني أن الجغرافيين ينشرون أنفسهم بشكل مفرط .

إلى حد ما ، هو محق . هناك الكثير مما يجب تغطيته . خلال عملي ، أتحدى مرارًا وتكرارًا توقعات ما يفعله الجغرافيون . منذ صغري ، كنت مدفوعًا بالتطلع إلى العالم ، والانخراط فيه في الوقت نفسه . هناك حدودٌ قليلةٌ لنطاق التزامنا البحثي . وكما أقررت ، فنحن تخصص فضائي - نلتقط الأفكار والفرص والنظريات الجذابة . لكن بالنسبة لي ، هذا الاتساع في النطاق هو ما يجذب الجغرافيا . بتحملي فوق طاقتي ، تعلمت الاعتماد على الأصدقاء والزملاء والتعلم منهم لمساعدتي في استيعاب البيانات وإكمال الصورة . يمكن تقدير جوهر المكان ، ولكن لا يمكن فهمه ، بمفردنا .